

# الرحالة البريطانيون لهم فضل اكتشاف خبايا الصحراء العربية

## العماني سعيد الراشدي يستعيد ملامح صحراء الربع الخالي مستشرفا مستقبلها



صحراء الربع الخالي بعظمتها وأهميتها الاقتصادية والجغرافية والثقافية، وبما تحمله من إرث متسع، اجتذبت الكثير من أبنائها ومحبيها للكتابة عنها من زوايا مختلفة أدبية وعلمية وغيرها وبأقلام المهتمين والمتخصصين، حيث تمثل خزانا هاما للإرث الثقافي الإنساني لا العربي فقط.

● صلاة (عُمان) - تبقى الصحراء ملهمة بما لها من مقومات متنوعة تحويها طبيعتها الجغرافية وتضاريسها الفريدة التي تجذب المغامرين والمستكشفين والباحثين عن المتعة السياحية والاستجمام والتأمل وتجربة عوالم أخرى يكون فيها الفرد أقرب إلى الطبيعة وإلى ذاته.

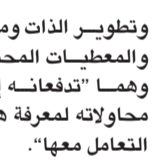
في حب الصحراء وتتبع مفازاتها وأسرارها صدر مؤخرا عن دار لبيان للنشر في سلطنة عمان كتاب بعنوان "أثار وأسرار صحراء الربع الخالي"، من تأليف سعيد بن سالم الراشدي "ولد بن غبيشة"، والذي يرصد بالكلمة والصورة والحدث من خلال ثمانية فصول ملامح من تلك الآثار والأسرار التي طاف بها في تخوم هذه الرمال، والتي سلكها والده سالم بن غبيشة برفقة سالم بن كبيشة، مع الرحالة ناييسجر (مبارك بن لندن) عامي 1945 و1950 وكانا حينها في عمر الخامسة عشرة، بينما توفي سالم بن غبيشة في يناير من عام 2016 بدولة الإمارات العربية المتحدة.

### أهمية الصحراء

يشير الراشدي في مقدمة الكتاب إلى أهمية صحراء الربع الخالي باعتبارها "جوهره مكونة مليئة بالأسرار"، منوها بطبيعة الإنسان وميوله للكشف عن المستجدات والأسرار من جهة،

سعيد الراشدي

صحراء الربع الخالي  
جوهره مكونة مليئة  
بالأسرار والحكايات



وتطوير الذات وما تمليه عليه الوقائع والمعطيات المحيطة به من جهة ثانية، ومهما "تدفعه إلى الاستمرار في محاولته لمعرفة هذه المعطيات وكيفية التعامل معها".

وأشار الكاتب في فعالية افتراضية بعنوان "آثار وأسرار صحراء الربع الخالي"، نظمها مجلس إشراف ثقافية في محافظة ظفار، والذي يسلط الضوء على جهود الكتاب العمانيين ودعم إبداعاتهم الكتابية، إلى أن الحديث عن صحراء الربع الخالي، لا يمكن الإتيان

### أسرار الصحراء تلهم المغامرين

في صحراء الربع الخالي حيث دحض سائداً لدى كثير من الناس بأن الربع الخالي خال من السكان، ومن خلال مرافقي الرحالة الذين كانت لهم معرفة جيدة باتجاهات ومسالك الصحراء، وكذلك بفضل السكان من تلك القبائل الذين التقوهم في أطراف ووسط هذه الرمال، نجح هؤلاء الرحالة في تغيير صورة الصحراء عند الآخرين، حيث قدموا أدلة قاطعة على وجود سكان في هذه المنطقة مترامية الأطراف صعبة التضاريس ودونوا أهم تفاصيلها وخصوصياتها وإرثها الثقافي.

واختتم الراشدي كتابه برؤيته لمستقبل الصحراء، في ظل ما وجد من استحداثات وتطور للوسائل الحديثة، إضافة إلى التغيرات الكبيرة في نمط حياة البدو، الذين كانوا يتجولون في زوايا هذه الصحراء كرحالة من مكان إلى آخر، وأصبح الكثير منهم في الوقت الحاضر يعيش الحياة المدنية، وبالرغم من ذلك فإن حب الإبل وشغفهم بها ما يزال راسخاً في وجدانهم.

وتطرق الكتاب في الفصلين الثالث والرابع إلى الملابس والحلي والمجوهرات ووسائل حفظ المياه والوسائل العامة والطعام والمنسوجات والاحتياجات الأخرى، إضافة إلى أنواع الأسلحة بما فيها البنادق والخناجر وأدواتها، التي يستخدمها سكان الصحراء، وتدخل كلها ضمن التراث الشعبي الذي يخزل أهمية المكان وعراقته.

ولم يغفل الكاتب في سرده لملامح الصحراء أهم عناصرها ألا وهي الإبل لما لها من دور كبير في الحياة في تلك البيئة الصعبة، حتى أننا نجدها حاضرة بقوة في قصائد الكثير من الشعراء وفي المخيال الشعبي لسكان الصحراء.

أما في الفصل السابع والذي خصص للرحالة البريطانيين الذين عبروا هذه الصحراء وكتبوا مشاهداتهم عنها، فقد تناول الكاتب أهمية ما قام به الكتاب السابقون من توثيق لرحلاتهم

وأهميتها التاريخية والتجارية، حيث كانت منطقة عبور للقوافل القادمة من محافظة ظفار تنقل معها بعض البضائع، من أهمها اللبان إلى أجزاء الجزيرة العربية، إضافة إلى المكتشفات التي وجدت في مناطق وسط وأطراف الصحراء، مثل نياحة الحشمان وخور بن حمودة، مما يدل على جذورها التاريخية الضاربة في الأعماق.

كما تناول الراشدي بعين الرحالة العارف بآفاق تفاصيل المكان، الجغرافيا والمناخ والتضاريس والموارد المائية، وكذلك مسميات بعض تضاريس الكتيبان المتعارف عليها محلياً، كاسماء الكتيبان الرملية الدارجة لدى سكان الربع الخالي، مثل اسم العروق، وهي كتيبان طويلة عالية الارتفاع يصل طولها إلى العشرات من الكيلومترات، وأسماء القعائد وهي كتيبان مخروطية أو نجمية يصل ارتفاعها إلى المئات من الأمتار.



إعطائها المكانة التي تستحق، وقد لفت أولئك الرحالة الأنظار إليها، وجعلوها وجهة حتى صارت محل اهتمام الحكومات والشركات النفطية وهواة الاستكشاف".

### التراث العريق والمستقبل

بدأ المؤلف الجزء الأول من كتابه بالحديث عن التاريخ والسكان والخصائص المجتمعية لصحراء الربع الخالي، من تقسيمات قنوية وقبائل وأعراف وغيرها من ملامح الإنسان والمكان، كالعادات والتقاليد والألعاب الشعبية والمعتقدات والقصص السائدة والمفردات اللغوية للبدو ودور المرأة وأهميتها في الحياة الاجتماعية.

كما تطرق إلى مسميات أجزاء صحراء الربع الخالي وتاريخها وأصولها وعلاقتها بالأودية المنحدرة من جبال ظفار، مثل رملة الملحيت ورملة مقش، إلى جانب بعض الأجزاء في عرق الصحراء، مثل رملة غنيم ورملة الدكاكة، وكذلك النمط السكاني لهذه الصحراء،



التقدم يكون بتحفيز الشباب

# رحلة إسرائيلية عراقية الجذور لأول مرة في الإمارات

والحقيقة أن في أحد حواراتي الشيقة مع عدد من العراقيين قال لي أحدهم "تخيلي أن الحكومة العراقية تخصص الميزانيات للشباب وتضمن لهم مستقبلهم فمن المؤكد أن هذا سيفضي إلى انشغالهم بالأمور الإيجابية، فإلسلبيات تنجم أكثرها عن وقت فراغ غير مستغل وقلة الموارد والدخل وانعدام الأمن والأمان والإحباط". ومضى يروي لي عن محفزات تقدمها الحكومة الإماراتية للشبيبة، وهنا بيت القصيد.

ما يشد النظر في الإمارات هو الانسجام بين التقليدي والعصري وتطبيق فكرة التسامح على أرض الواقع والاهتمام بالشباب

صحيح أن إسرائيل لا تتمتع بموارد تضاهي موارد دبي لكنها تتفانى في سبيل أبنائها وهذا ملحوظ في توفير التامين الاجتماعي على كامل دورة الحياة ما يفسر حب الوطن في كلا البلدين، كما أن كل دولة هي دولة مؤسسات وليست دولة سلطة، ما يعزز العلاقة بين المواطن والوطن. لا شك أن اتفاقات السلام الإبراهيمية خير ما يجسد القواسم المشتركة، ناهيك عن الوقوف في خندق واحد حيال تهديد مالي إيران.

هايك غاية التقنية مثل ما تبوات مكانة متقدمة في تكنولوجيا الزراعة ومصادر المياه والساير وغيرها. هذا التطور هو نتيجة الاستثمار في التعليم وتنمية كادر تملكه إسرائيل.

"تعيروني أنا قليل عديدا فقلت لها إن الكرام قليل" السموال بن عدياء.

يصف بيت الشعر هذا من فترة الجاهلية المشترك بين الإمارات وإسرائيل من حيث تعداد السكان، لكنه يتناسب بصورة طرية مع الإنجازات التي لا تحصى.

عندما تجولت في جيمرة النخيل في دبي وعلى الشاطئ خلف الفنادق الكبيرة والمولات ناهيك عن الأبراج الشامخة، أدركت القفزة العظيمة التي حققتها مجموعة صغيرة من الإماراتيين منذ استقلال الإمارات قبل 50 عاماً. كان على الإمارات التميز فتيبت "الف التفضيل" كمنهج، الأكبر، الأطول، الأشهر... وهذا برج خليفة الذي أصبح رمزا معروفا في كل العالم إلى غيره من الرموز العصرية.

ما شد نظري هو الانسجام بين التقليدي والعصري وتطبيق فكرة التسامح على أرض الواقع كمنهج. من خلال حديثي مع العديد من سكان دبي أجانب وعربا من مختلف المجالات لمست ارتياحا من الإقامة في هذا البلد. سمعت المرة تلو الأخرى عن اهتمام الدولة بالشبيبة في وقت يضع فيه وقتهم الشبيبة العرب في دول عديدة في المنطقة في إحباط متواصل.

لبناء دولة ناجحة تتخطى العقبات والتحديات.

هذا ما لمستته خلال زيارة لدي استغرقت أسبوعا تجلت أمامي خلالها شواهد على الأمور المشتركة بين إسرائيل والإمارات. يعتبر البلدان قصة نجاح بكل المقاييس العالمية مع فارق الموارد الطبيعية التي حبا الله بها الإمارات من نطف.

من الواضح أن الرؤية بعيدة المدى والإيمان بقدرتها تحقيقها من الأمور الرئيسية التي نجتمع فيها. على الرغم من كل التحديات والحروب العديدة التي واجهتها إسرائيل فإنها نجحت في استغلال الموارد البشرية لتطوير دولة

ليندا عبدالعزيز  
كاتبة إسرائيلية عراقية الجذور



● "في أرض إسرائيل من لا يؤمن بالعجائب فإنه ليس بإنسان واقعي. التاريخ لا يُكتب، إنما يُصنع" من مقولات مؤسس الدولة العبرية دافيد بن غوريون.

"إن أكبر مخاطرة ألا تخاطر"، لا مستحيل مع الإصرار، ولا مستحيل مع الإيمان، ولا مستحيل مع الحياة، هذه المقولة للشايخ محمد بن راشد المكتوم رئيس وزراء الإمارات.

من يتعمق في فحوى المقولات لرجلي دولة سيدرك التشابه في الرؤية



التسامح طريق إلى مستقبل أفضل